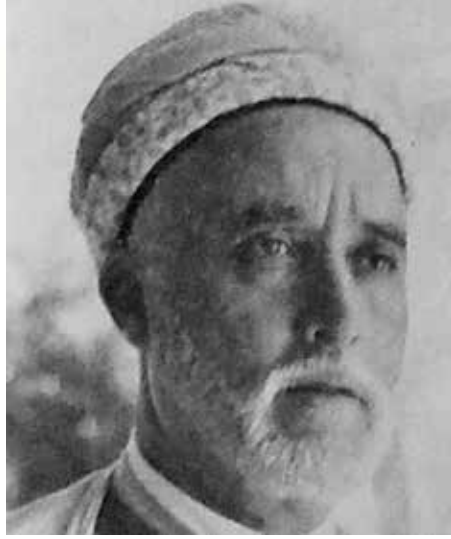


خطبة عيد الأضحى

لسماحة مفتي الديار الجزائرية

الأستاذ الحاج محمد بابا عمر*



وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَلِكَ وَمَنْ
يُعَظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴿٤﴾
[الحج، آية: 27-28-29-30].

وعلى ما في هذه الرحلة من تكاليف وأتعاب،
وخصاصة وأوصاب، يقيم المؤمنون موسم
الحج كل سنة، وتهوى أفئدتهم للإجابة عند
سماع ذلك النداء الموقظ للأرواح، الدافع
بالأشباح، إلى معالم الصلاح، باتخاذ الأسباب
المبلغة لهذا المطلب الأسمى، والحمى الأحمى،
في هيام واشتياق، ولو كلفهم ما كلفهم من
مشاق، ومن بذل في سبيل الله وإنفاق.

إن معجزة القرآن لبادية للعيان، لدى مشاهدة
هذه النفوس الطيبة الزكية، آتية رجالا من
أقصى المشارق والمغرب وركبانا من سائر
أرض الله على اختلاف الألسنة والألوان، على
كل ضامر وكل ناقلة برية أو بحرية أو جوية،
آتين من كل فج عميق. وإنها لدعوة إبراهيم
أجابها الرب الكريم كما قص القرآن الحكيم
﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
رِزْقٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾
[إبراهيم، آية: 37].

وليشارك من لم تتيسر لهم هذه الشعيرة
إخوانهم في الدين، شرع العيد وسننه وأدابه
من صلاة وخطبة وأضحية للمستطيع، وذكر
الله تعالى دبر الصلوات إلى صباح اليوم
الرابع وهي الأيام المعدودات. وهكذا اتصلت
الأعمال في حكمة الأضحية، وقصد الكعبة
وفداء إسماعيل من إبراهيم إلى محمد، ومن
اقتفاء الملة الحنيفية من محمد إلى إبراهيم
الذي كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين.
ولذا علمنا رسولنا أن نقول: "اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل
محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل
إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد".

فتذكر الدعوة إليه بالحج المقرر، وما ثبت عنه
من الاعتمار المكرر.

ويا لذكرى حجة الوداع الجامعة لتعليم أصول
الدين، والتبليغ للمؤمنين، بذلك الخطاب
الجامع العظيم المنافع! ويا للجلال المتجلي
حول بيت الله المحرم!

ويا للجمال الباهر، والنور الساطع الظاهر،
والرجوع بالذكرى الجائلة في بطون الأزمنة،
إلى الوضع الأول ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة، آية: 127-128].

لهذه المآثر الجليلة يحن المؤمنون بصادق
إيمانهم إلى شد الرحال للأراضي المقدسة،
وفي ذلك الحكمة البالغة كما هي في كل
شعيرة من شعائر الدين.

ولئن قال البعض إنه مؤتمر جامع كما قالوا
في الصلاة رياضة بدنية، وفي الصيام احتفاء
واستشفاء، فالحق أن الحكمة في ذلك هي
طاعة الله ومحبة دينه، مع ما بين تعالى في
كتابه ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ *
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا النَّاسَ الْفَقِيرَ
* ثُمَّ لِيُقْضَىٰ لَهُمْ أَهْلُهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ

هو اليوم العظيم الذي يحتفي المسلمون
في سائر البلاد الإسلامية احتفاء لا تقا بجلال
العيد، فيعظمونه لكونه موسم الحج الأكبر،
وموطن الذكرى الباعثة في نفوس المؤمنين
ما لذلك الجمع المبارك من جلال وروعة،
وإحياء لقاعدة شهيرة من قواعد دين الإسلام،
لقي الرسول الكريم صلوات الله عليه في
تنبيتها على المنهاج القويم الشدائد والأهوال،
حتى أصلحها بإزالة ما أحدث العرب فيها
من تقربات باطلة وإشراك ومفاسد وأعمال
لا تليق بالعقلاء؛ من أوثان نصبت حول

الكعبة وداخلها وفوق سطحها، ومن تصفيق
وصفير، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا
مُكَاءً وَتُصَدِيَةً﴾ [الأنفال، آية: 35]، وعلم
الناس الاقتصار على ما شرع من دين الله،
وما يوافق التوحيد الخالص، وتنزيه المعبود
عما لا يليق بجلاله وعظمته تعالى، فكان
بتعليمه وإرشاده عليه الصلاة والسلام، وبما
أوحى إليه ذلك الحج المعلومة فرائضه، التي
هي الأركان وواجباته، المؤداة بقدر الإمكان،
مما كان من شعائر الله ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ
اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج،
آية: 32] ولهذا التعظيم، وهذه التقوى، صارت

تشد الرحال للبقاع الطاهرة، منازل الوحي،
وبطاح مكة التي بها زمزم والبيت والمسجد
الحرام ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا
وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران، آية: 96-97].

من هذه البطاح، وبين أقوام تمكنت في
نفوسهم الوثنية والجهالة، تفجرت ينباع
العلوم والحكمة، وسطعت شمس المعارف
بظهور سيدنا رسول الله رسول الرحمة
للعالمين، ومظهر الهداية للمتقين، ومنار
الحق والعدالة والأخوة بين العالمين.
يا لتلك الروعة! حين يشاهد ذلك التشييد
الإبراهيمي العتيق، والتجديد المحمدي الأنيق،